المحاضرة الأولى

فنون دور حسونة

المشهد الحضاري

. يحتل دور حسونة أهمية عظيمة في خارطة تاريخ الفن على ارض الرافدين، كونه امتداداً زمنياً طويلاً من عصر قبل الكتابة ، فبدايته تكمن في أول تأسيس للقرى الزراعية في الأراضي التلية المتموجة والمناطق السهلية في شمال العراق في أوائل الألف قبل الميلاد وحتى أواخر الألف السادس قبل الميلاد

وكذلك مهد تأسيس الأسس واللبنات الأولى في بنية الفكر الحضاري، وتكوين الخبرة الأولى ، في إحالة إشكالات الفكر الاجتماعي إلى منظومات شكلية ، وذلك بوضح الأساليب والتقنيات الأولى وغير المسبوقة بخبرة في فنون التشكيل، وكذلك في تنوع الخبرة والتجريب في أواع الخامات المستخدمة في أنساق التشكيل ، وغنى أنظمة الأشكال في تنوع الرؤى قولات الفكر وضغطها بشكل منظومات شكلية رمزية .

المحاضرة الثانية

فخاريات حسونة القديمة assuna

اعتادت (النسوة) في عصر القرى الزراعية الأولى على أرض الرافدين ، وعلى الأخص من أوائل دور حسونة في مستوطنات جرمو وحسونة شمال العراق . على تهيئة كتل من الأطيان الطبيعية الممزوجة مع فضلات الحيوانات وبالأخص البقر مع قطع كبيرة من التبن Straw . بغية استخدامها في ترميم الشقوق التي أحدثتها الظروف الطبيعية في سقوف المنازل - الغرف - الطينية ومن هذا الخليط العجيب من الخامات، شكلت أقدم الآنية الفخارية على أرض الرافدين، بأسلوب الأشرطة السميكة والضخمة ، وبذات الطريقة التي تشكل بها أشكال التنانير في الوقت الحاضر . وكانت الآنية بشكل جرار كبيرة الحجوم ذات جوانب سميكة جداً وغير منتظمة. وقد أحرقت بطريقة غريبة جداً ، حيث كانت تكدس وسط ساحة الدار المكشوفة ، وتغطى بطبقة كثيفة من أغصان الأشجار ، وبعد أن تنطفئ النار (تهفت) يستخرج المنجز الفخاري وقد نال حرقاً لم يكن كافي وغير منتظم أيضاً . وكانت وظيفتها الأساسية هو أنها كانت الأساسية هو أنها كانت مكرسة لخزن الحبوب . ومن كل ذلك نستنتج إن (المرأة) قد صنعت أول إناء فخاري على أرض الرافدين . وكذلك فان الصنعة في بدايتها كانت بمثابة نوع من الصناعة الشعبية ، حيث تصنع كل عائلة ما تحتاجه من جرار الخزن الفخارية.

وكأي فكرة في تقنيات الفنون التشكيلية، تبدأ بسيطة ومن ثم تتطور على وفق الممارسة والتجريب وتعاظم الخبرة . فان الآنية الفخارية الصغيرة الحجوم من فخاريات حصونة القديمة (شكل ٢) . قد شكلت أيضاً من أطيان طبيعية ، تفتقر إلى الانتقاء النوعي الخاصياتها ، وتضم في تركيبها شوائب الطين الطبيعية مثل دقائق حجر الصوان والكلس والكوارتز والصدف ومركبات الحديد والنحاس والرماد البركاني . إلا إن الوعي (الصناعي) بخاصية الخامات ، قاد إلى مزجها بدقائق صغيرة من التبن أو الرمل ، لجعلها أكثر صلاحية في التشكيل ، وكذلك خوفا عليها من الانفجار أو تشقق جوانبها خلال عملية الحرق .

أما أسلوب تشكيل الآنية فما زال يدويا ، حيث يتم بناء اللوالب الطينية (الحبال) على قاعدة صغيرة تدريجيا وحتى الارتفاع المطلوب - وهذا الفعل (المعماري) في البناء ، يحتاج إلى نوع من الارتكاز والتوازن والسيطرة اليدوية في البناء . ومنذ البداية كانت كتلة الطين المراد تشكيل الإناء منها ، توضع على قطعة صغيرة من (الحصير) ، خوف التصاقها بالأرض، ولذلك تظهر طبعاتها واضحة على السطوح الخارجية لقواعد الآنية . ويظهر إن الإحساس الجمالي بانتظام خطوط جوانب الآنية كان ملحوظا ، الأمر الذي يؤكد تطور المهارة في التشكيل (شكل ٢) . وكذلك تؤكد بعض نماذج الآنية من جرمو وحسونة وام الدباغية ، إلى اختراع وسائل لتنعيم سطوح الآنية الفخارية بغية جعلها أكثر صلاحية للرسم ، وكانت تقنيتي الحذف Turning ، والدلك Burnishing هما أقدم الوسائل في المعالجات الجمالية . السطوح الآنية الفخارية.

وتؤكد الوظيفة محدودية تنوع أشكال الآنية ، ذلك إن معظم أشكال الآنية الفخارية كون بشكل أوعية صغيرة الحجوم (Bowls) (وللبعض منها نوع من المقابض ، كان البعض مثقوبا . الأمر الذي يرجح إنها كانت تستخدم لشرب السوائل أو تعلق لحفظ محتوياتها القوارض والحشرات (شكل ٢) . أما حرق الآنية، فقد كان غير منتظم ، ويشير إلى استخدام (تنانير (الخبز في حرق الآنية الفخارية. ولقد وجد الفكر) الرافدي) وهو يؤسس **لحالاته الأولى في تاريخ الإنسانية، ضرورة أن يزين سطوح مثل هذه الآنية الفخارية بأنظمة خطية وبقع لونية غير منتظمة الترتيب ، وذلك باستخدام تربة اوكسيدية عرفت بالمغرة الحمراء Read More (شكل ٢) . وربما يكون لمثل هذه المشاهد دلالات في الفكر الحضاري في مراحله الأولى . أما بالنسبة لنا ، فإنها لا تعني شيئاً ، سوى أنها تذكرنا بلوحات مارك توبي أو هنري ميشو في تكويناتهم الخطية والحروفية في فنون ما بعد الحداثة**

- فخاريات حسونة النموذجية : Standard Hassuna شكل ٣ - ٤) كان للتطور الذي حققه شعب عصر حسونة في جميع أوجه حياته ، الأثر الفاعل في رفع مستوى الوعي الفكري في بنية تفكيره ، محققاً نتيجة الخبرة والمراس نوعاً من الكشف ضرورة إيجاد صيغة أو قانون من التوازن ، يحقق استمرارية وجوده ، إزاء تحكم القوى يعية المؤثرة في مفردات حياته ، جاهداً إلى تكييف عالمه المعاش لاسترضاء عالم من ى والأرواح التي لها فاعلية التحكم في أهم مظاهر حياته . ومن مجمل هذا التطور ،

يبرز يميز روحية الزمن ، وتبرز للوجود أيضاً صور جديدة ظاهرة للعيان . إنه الصراع بين ينبعث عن الذات من جهة ، والظروف الموضوعية المحيطة من جهة أخرى . وهنا تبرز من القدرة على إدراك الداخلي وآليات الإفصاح عنه بل وتأويله، وفقاً لآليات يحتل فيها الروحي مكان الصدارة ، في حين تراجع ما هو طبيعي أو مادي محض إلى مرتبة ثانوية

المحاضرة الثالثة

- تقنية الصناعة :

وطالما إن صناعة الفخار ، تتصف بكونها واحدية الخامة ، فلا سبيل لاجتياز هذه الواحدية في فخاريات بلاد وادي الرافدين ، إلا في الخزف الحديث . فان فكرة التطور في وعي) معالجة الخامات - الأطيان - ترتبط بالفعل اليدوي والذهني ، في آليات (موضعة (الخامات ، نظمتها لتمثيل الأشكال والدلالات الفكرية الموضوعية المفترضة . ولذلك فان (قيمة (الخامة في فن عام. ب إلى فلسفة العلم ، بدلاً من إنتمائها إلى قوانين السبك واللحام والبرادة . وباحتكامنا إلى مقولة العلم لتبرير التطور الذي تحقق في معالجة الخامات في فخاريات حسونة النموذجية ، فلابد لنا من الاستناد إلى فكرة التجريب كالية لتعاظم الخبرة . فلقد مرت عشرات السنين ومئاتها ، حتى توصل صانع الفخار إلى فكرة إنتقاء نوعية خاصة من الأطيان، بوصفها الأكثر صلاحية لانجاز أعماله . إنها فكرة البحث والتقصي للخاصية والنوع وربما في أماكن

بعيدة عن القرية بمسافات بعيدة

وحين دخل الفخار مجال الفعاليات الطقوسية والشعائرية ذات الطبيعة الاجتماعية ، تنوعت أشكاله في فخاريات حسونة النموذجية تنوعاً كبيراً ، فكان لابد للفنان (من البحث عن وسائل لشد تماسك الأطيان ، وجعلها أكثر صلاحية في تشكيل الأشكال من جهة ، وكذلك تفادي تشقق جوانبها وربما انفجارها خلال

عملية (الفخر) من جهة أخرى . وقد وجد في حينه وسائل مختلفة للتلاعب بالمركبات الكيميائية للأطيان ، بدءً بغسل الأطيان جيدا ، لتخليصها من شوائبها ، ومن ثم) عرضها (في الهواء الطلق وتحت أشعة الشمس لفترة ومن ثم خلطها بدقائق صغيرة جداً من التبن أو الرمل، لتحقيق صلابة الأجسام الفخارية و التقليل من مساميتها . انه فعل إرادي يتوجه إلى الخامة بفعل الحرارة ، مرغماً إياها بفعل الوعي والقصد ، إلى التحول من بنية طينية إلى أخرى فخارية ، بفعل التحول الخطير في أنظمتها التركيبية . ومن هنا تأتي إشكالية الخامات من الناحية العلمية في فن الفخار بشكـ عام . وبفعل تراكم الخبرة ، تطورت قدرات (الفنان (في آليات تشكيل الآنية .الفخارية فـ توصل صانع الفخار، إلى وضع كتلة الطين المراد تشكيل الآنية منها ، على قطعة مستوية . الخشب ، وبذلك تمكن من تدويرها بيديه ، لمواجهة جميع جوانب الإناء خلال عملية البنا بعد أن كان عليه ، أن يدور بجسمه حول كتلة الطين عبر عملية التشكيل في المرحلة السابـ وقاد تنامي الوعي الجمالي بانتظام خطوط الأشكال نتيجة المراس، إلى وجود نوع الشاعرية المنضبطة ، في انسيابية خطوط جوانب الآنية (شكل ٣) ، فبدأت أنامل الف تعيش ألفة أليفة مع الطين في البناء ، وهي تشكل أنظمتها الخطية المتخيلة في الذهن . و العملية أشبه ببنية الشعر ، حيث قوامها تركيب وأيضاً ترتيب موسيقية الكلمات.

المحاضرة الرابعة

فنون دور سامراء

المشهد الحضاري

• اكتشفت حضارة دور سامراء من قبل الآثاري) الألماني المشهور (هيرسفلد) Herrfeld في العلم ١٩٨م ، إذ كشف تحت تباليط الدور الإسلامية العباسية في سامراء ، ، هي مقبرة تعود لعصر قبل الكتابة في تاريخها ، وضمت أعداداً كبيرة من آنية فخار سامراء الملونة الجميلة ، فضلا عن اشكال متنوعة من القلائد والأحجار الكريمة، وقد دفنت كودائع قبور في حينه (Herzfeld, 1935 ..1) . فقام بنقلها إلى المتحف الألماني في حينه وبعد دراسة مستفيضة لهذه الأعمال الإبداعية النفيسة ، أعلن عن عائديتها خطأ لأصول إيرانية . ويا لفداحة الخطأ الذي وقع فيه ، إذ سرعان ما أظهرت البعثات الأثرية العراقية بطلان هذا الأدعاء ، حيث أماطت اللثام مرة أخرى عن البقايا الحضارية لدور سامراء ، في مستوطن مهم هو تل الصوان ، والذي يقع على ضفة نهر دجلة الشرقية إلى الجنوب قليلاً من مدنية سامراء . حيث استطاع الآثاري العراقي الكبير د . بهنام أبو الصوف وزملائه في عقد الستينات من القرن العشرين . من اكتشاف مركز هذه الحضارة ، والذي تميز بأنظمة جديدة من البقايا المعمارية والمتنوعة الوظائف ، ومنظومة ضخمة من التماثيل المرمرية ، وأعداد هائلة من الآنية الفخارية المتنوعة الأشكال والطرز الصناعية ، فضلا عن أنساق جميلة من المنحوتات الفخارية الذكرية والأنثوية . ومنذ ذلك الحين ، لم يعد هناك أي شك في عائدية حضارة دور سامراء إلى ارض الرافدين ، وإنها من الأدوار الحضارية المهمة بصدد الإضافات الحضارية المهمة التي أضافتها لبنية حضارة أرض الرافدين في عصورها القبل كتابية .

ثم توالت الاكتشافات لتعلن عن أهمية هذه الحضارة ، حيث اكتشفت الآثارية البريطانية) اوتس (Oates ، بالقرب من مندلي على الحدود الإيرانية ، مكاناً أو مركزاً آخراً لأزدهار حضارة سامراء (Oates, 1968,P5) ، ففي موقع (جوخة مامي) تم تأشير قرية متقدمة في الطراز المعماري ، وملاحظة تقنيات متطورة في صناعة الفخار ، وتحديد أنظمة بسيطة من قنوات الإرواء الصناعية . ثم

تبعتها اكتشافات البعثة الأثرية الفرنسية في أقصى الغرب ، حيث ظهرت موجودات حضارة سامراء في قرية باغوز بالقرب من آلبو كمال على الحدود العراقية السورية (Braidwood, 1944, . 48-50 PP) .

المحاضرة الخامسة

المنحوتات الفخارية :

لعل أهم ما يميز دور سامراء الحضاري ، هو تنوع موضوعات منحوتاته الفخارية أنظمتها الشكلية ، واختلاف الوظائف التي أوكلت إليها . ولعل أعمالاً فنية بمثل هذه الكثرة الأهمية وقوة الفاعلية ، لابد أن تكون تعبيرا عن لون من ألوان الضرورة ران هيمنة هذا النوع من التشكيلات على معطيات الفكر الحضاري ، تكمن في غها عن الأفكار الكامنة في جوهرها الباطن ، تلك الأفكار المعبرة عن عالم من القيم وحية التي تعصف بوجود الإنسان في زمانه ومكانه . فلم تكن رؤية إنسان دور قائع ، على إنها حالة (مستقرة) من التجانس التام ، بل حالة من المواجهة تحتاج من التحايلات ، لإقناع النفس بالشعائر والممارسات السحرية ، مع زخم إنفعالي والممارسات الدينية . فمنذ هذا التاريخ القديم على أرض الرافدين ، يتوفر لنا لة من الترابط بين الفن والدين ، حيث يظهران يداً بيد من أعماق التاريخ ، وبقيل ا دون تفكك ، عبر تواريخ طويلة مليئة بالمتغيرات السياسية والاجتماعية وستكون بدايتنا

مع تمثال رجل تل صوان .

دراسة الفنون إن دراسة في تاريخ الفن تسعى لإيضاح مفاهيم الفنون التشكيلية من هذه الفتر ن تبدأ بتوضيح محركات الفكر الحضاري الأساسية المهيمنة و الكامنة في أنسجة المـ الأولى على أرض الرافدين ، ذلك إن أمثلة التشكيل من هذا الدور الحضاري دي وظائفها في بنية الفكر، كمدلولات لحاجات روحية، فقد أبدعت لتقديم . الإنساني في مراحل تأسيسه الأولى على أرض الرافدين .